

ثم جاءت مرحلة التابعين في التفسير؛ فبدأ ظهور التفسير الكتابي بوضوح بسبب كثرة عدد الكتّاب وتوفّر وسائل الكتابة، لكن التفسير فيه هذه المرحلة لم يكن ميوّبا أو مرتبا على حسب سور وآي القرآن الكريم، مثل الصحيفة الصحيحة التي أملاها أبو هريرة τ على همام بن منبه، وفيها شيء من التفسير .

ثم ظهرت مرحلة التدوين للعلوم الشرعية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فبدأ يظهر التفسير الكتابي مرتباً حسب ترتيب المصحف، فظهرت كثير من التفاسير الكتابية مثل تفسير الطبري رحمه الله، وهكذا استمرت حركة تفسير كتاب الله تعالى جامعة بين الكتابي والشفاهي إلى العصر الراهن¹ .

فمن خلال ما سبق يظهر لنا سببُ التفسير الشفاهي للكتابي لأن تاريخه يرجع إلى بداية نزول الوحي .

2 - من حيث السهولة واليسر بالنسبة للمتلقين:

إذا ما قارنا بين نوعي التفسير الشفاهي والكتابي من ناحية سهولة الفهم ويسره، يظهر لنا من أوّل وهلة وبوضوح رجحان التفسير الشفاهي في هذه المسألة، ذلك أن المفسر أثناء إلقائه لدرسه يسعى جاهداً إلى إيصال الفكرة إلى المستمع بكلّ الطرق، تارة بضرب الأمثال الشائعة أو القصص، وأخرى باستعمال الحكيم التي تُقربُ الفهم، وهذا ما يشدّ انتباه المستمع فيعي ما يريد المفسر إيصاله إليه من معلومة، فيكون ذلك أدعى لقبول التفسير والعمل بما اقتضته آيات القرآن الكريم، فالتيسير ملازم في الغالب للتفسير الشفاهي، يدلّ لذلك بعض التسميات التي سمّي بها أصحاب التفاسير الشفاهية دروسهم، فقد سمى المكي الناصري دروسه التي كان يلقيها في الإذاعة المغربية "التيسير في أحاديث التفسير"، ومنها تفسير الشيخ: بيوض سماه "في رحاب القرآن"، ما يدل على سعي أصحابها في تيسير تفسيرهم للناس .

أما في التفسير الكتابي فقد لا يراعي المفسر جانب التيسير، بل قد يكتب لمن هُم في طبقتهم من العلم والفهم، وقد يكون همة الاستدلال والبرهنة على المسألة التي يريد إيضاها، فيستدلّ ببعض القواعد أو الأدلة التي يستعصي على القارئ فهمها فلا يحصل المراد من التفسير، وهو: إيضاح معنى القرآن وشرحه .

وهذا الفرق ذكره الشيخ: محمد عبده، للشيخ: محمد رشيد رضا، عندما طلب منه كتابة تفسيره، فأجابه الشيخ: محمد عبده بقوله: " إن الكتب لا تفيد القلوب العمي، فإنّ دكان السيد عمر الخشاب مملوءة بالكتب من يعلمون لا يعقلون المراد منه، وإذا عقلوا منه شيئاً يردونه ولا يقبلونه، وإذا قبلوه حرفوه إلى ما يوافق علمهم ومشرهم، كما جرى عليه في نصوص الكتاب والسنة التي نريد بيان معناها الصحيح وما تفيده"² .

¹ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن الرومي، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة، برقم 5/951 وتاريخ 1406/8/5، ط: 1، سنة: 1407هـ/1986م . (ج:1/ص: 27 - 32)، والتفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، (ج:1/ص: 27-97) .

² تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1990م . (ج: 1/ص: 12) .

وهذا الأمر نفسه ينطبق على التفسير الأمازيغي الذي يسهل فهمه إذا كان شفاهيا من حيث: كونه أيسر في الفهم إذ الحروف تسمع والكلمات تفهم، أما لو كان كتابياً فإنه يصعب قراءته وفهمه للإشكالات الكثيرة التي تعترضه .

3 - من حيث وسيلته:

فوسيلة التفسير الشفاهي هي اللسان ووسيلة التفسير الكتابي هي البنان، هذا الأمر الذي يكسب كلاهما خصائص لا توجد في الآخر، وبيان ذلك:

أن التفسير الشفاهي ما دامت وسيلته اللسان، فإن المفسر يجد سعة في الحديث بعدة ألسن ولغات يدمجها كلها في درسه إضافة إلى اللغة الأم التي عقد بها مجلس تفسيره وذلك ليفهم المستمعون كلامه، كأن تكون هناك عبارة اعتاد الناس على تكلمها بالعامية أو بغير العربية فيفهم الناس بها، وهذا الأمر نجد مثلاً في تفسير الشيخ: عبد الحميد بن باديس، الذي كان يذكر بعض العبارات بالعامية محدراً منها، مثل قوله: "تحذير وإرشاد: ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس "يا ربي والشيخ"، "يا ربي وناس ربي"، "يا ربي والناس الملاح"¹ . وكما هو موجود أيضاً في تفسير الشيخ بيوض؛ الذي كان درسه باللغة العربية الفصحى، لكنه أحياناً يشرح بعض المعاني باللهجة المزائية أو بالعامية ليفهمه الناس، مثل قوله في تفسيره: "حنا ما نشغلو كمش بالآخرة،" خسروا أنفسهم" ما كانش معاهم كلام"² .

أما التفسير الكتابي فخصوصياته تجعله يكتب بلغة واحدة وأحرف مشتركة، موجهة لمن يفهم لغة المفسر، فإن كان لا يفهما فيقرأ تفسيراً آخر كتب باللغة التي يفهما .

إذا نظرنا إلى هذا الفرق في التفسير الأمازيغي للقرآن الكريم، نجد أن التفسير الكتابي الأمازيغي تعترضه إشكالات عديدة يسلم منها التفسير الشفاهي إذ المفسر فيه يقدم درسه باللهجة الأمازيغية التي يفهما المستمع.

4 . من حيث التأثير في الجمهور:

لا شك أن الهدف من التفسير شفاهياً كان أو كتابياً هو: شرح معاني كلام الله، وهذا الأمر يحتاج إلى التأثير في نفوس الناس ليقبلوا على كتاب رهم ويعظموه، وإذا ما قارنا التفسير الشفاهي بالكتابي في هذه المسألة فإننا نجد: أن التفسير الشفاهي أشد تأثيراً في نفوس المستمعين من الكتابي لأن الشفاهي يمتاز بميزة لفت انتباه المستمع والتأثير في نفسيته، ذلك أن المفسر إذا أحسن إلقاء درسه التفسيري وشعر بالرسالة التي يقدمها وحاول إيصالها للمستمعين، وتميز كلامه بالفصاحة وحركاته وإشاراته بالتعبير عن المعنى، فإنك تجد وقع ذلك وأثره في نفوس المستمعين فيؤثر ذلك فيهم مما يؤدي إلى شد انتباههم وخشوع قلوبهم فيظهر أثر ذلك الدرس على أخلاقهم وتصرفاتهم، قال الشيخ: محمد عبده: " إن

¹ في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1، سنة: 1416هـ/ 1995م . (ص: 222)

² التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، د: نادية وزناجي، وهي رسالة دكتوراه، بجامعة باتنة، سنة: 1429هـ/ 2008م، (ص: 131) .

الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء؛ لأن نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ... إن السامع يفهم ثمانين في المائة من مراد المتكلم، والقارئ لكلامه يفهم منه عشرين في المائة على ما أراد الكاتب¹، هذا في التفسير الشفاهي .

أما التفسير الكتابي فقد يكون له تأثير في نفس القارئ فيتأثر بما يقرأ لكن ذلك قليل، إذ هو مقرون بمن له ذوق أدبي رفيع، ويشترط له تفرغ القلب والإحاطة بمعنى الكلام الذي يقرؤه بحيث يكون متقنا للغة التي كتب بها التفسير وغير ذلك، وقد تخلو نفسية المفسر في التفسير الكتابي من الشعور بالرسالة فيكون له غرض من كتابته غير غرض الدعوة وتبليغ الرسالة، كأن يكون غرضه نشر بحث يترقى به في درجة علمية، أو كتاب يُحصّل به مالا أو غير ذلك.

ومما يدل على أن تأثير الناس بالتفسير الشفاهي أقوى بكثير من تأثيرهم بالكتابي، أنه لو أعلن عن إقامة محاضرة يُفسّر فيها كلام الله تعالى لرأيت إقبالا واسعا من جمهور الناس، أما لو أُعلن عن صدور تفسير جديد أو مقال في التفسير أو غير ذلك، فإن الناس إمّا أن لا يهتموا به أصلا، أو يهتم بعضهم بشكله وتجليده وأوراقه فقط .

وإذا ما قارنا في بين التفسير الأمازيغي الشفاهي والكتابي في التأثير، فإننا نجد أن الواقع يشهد بتأثر الناس بالتفسير الأمازيغي الشفاهي، أشدّ من تأثرهم بالكتابي بكثير، لذلك نجد أن ترجمة الشيخ "سي محند طيب" المسموعة كان لها الأثر البالغ في المجتمع القبائلي واستفاد منها الناس كثيرا، بعكس الترجمة المكتوبة التي طبعها "مجمع الملك فهد"، فإن كثيرا من سكان القبائل لا يعلمون بوجودها أصلا، ومن علم منهم بوجودها تجده لا يقرأ منها إلا فيما ندر .

5 . من حيث إتاحة السؤال:

السؤال له دور كبير في فهم الكلام، إذ قد تخفى عبارة أو يُفهم معنى على المستمع أو القارئ فيحتاج إلى السؤال عنه، فإن وجد مجالا للسؤال ففهم الكلام وإلا لم يفهمه، قال الشيخ: محمد عبده في معرض ترجيحه للتفسير الشفاهي على الكتابي: "إن الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء ... وأيضا يُمكن السامع من أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه فإذا كان مكتوبا فمن يسأل؟" ² .

وإذا ما قارنا بين التفسير الشفاهي والكتابي في هذه النقطة، فإننا نجد أن إشكالية عدم إتاحة السؤال تعترى كلا من النوعين، لكنها في التفسير الشفاهي بنسبة أقل، إذ يكمن يمكن لن يستمع للدرس - في الغالب - أن يسأل عما أشكل عليه فهمه من الكلام، فيجيبه المدرّس بما يزيل عنه الإشكال ويقرب المعنى .

وأما في التفسير الكتابي فإن السؤال عما أشكل يكون من الصعوبة بمكان، ففي الغالب لا تتاح الفرصة للقارئ بلقاء صاحب التفسير المكتوب، لوفاته أو بُعده وعُسّر الوصول إليه أو غير ذلك .

¹ تفسير المنار، (ج:1/ص: 13) .

² تفسير المنار، (ج:1/ص: 13) .

6 . من ناحية المقصد الأساس الذي يراد من كلّ واحد منهما:

لكل مفسّر غرض من تفسيره، فهو: إما توجيه أو تعليم أو نصح أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، لكن لو قارنّا بين الغرض الأساس بين نوعي التفسير الشفاهي والكتابي، لوجدنا ما يلي:

أن التفسير الشفاهي يغلب عليه الجانب الإصلاحي الاجتماعي، فتجد المفسر يفسر الآية بمعنى إجمالي بذكر ما لا بدّ منه من سبب النزول وشرح غريب الآية وغير ذلك، ثم يتوجّه للربط بين الآيات القرآنيّة وبين ما يدور في مجتمعه محاولاً وصف الداء والدواء، فتجده يكثر من الأمثلة الواقعيّة ويقترح الحلول ويصحّح الأخطاء وهكذا، وهذه سمة بارزة على التفاسير الشفاهية التي بين أيدينا، فخذ مثلاً: تفسير المنار: الذي لا يكاد يمرّ بآية إلا ربطها بالواقع الاجتماعي، وكذلك ابن باديس الذي كان يذكر المعنى الإجمالي للآية، ثم يلتفت إلى المجتمع ويحاول إصلاحه من خلال هدايات الآية، فيضع عنواناً فرعياً بقوله " تطبيق " أو تنزيل " أو "تحذير" .

أما التفسير الكتابي فيغلب عليه الجانب العلميّ، من حيث ذكر كلّ ما يتعلّق بالآية وحكاية الخلاف فيها ونصرة الرأي الذي يختاره المفسّر وربما يسوق الأدلة الكثيرة على ترجيحه، فيغلب الطابع العلميّ على هذا التفسير، لأن المفسر لديه إمكانيّة مراجعة المکتوب فيضيف ناقصاً أن يحذف زائداً .

وإذا نظرنا للتفسير الأمازيغي في هذه المسألة فإننا نجد المفسّر الذي يقدمّ درسا في التفسير بالمسجد أو الإذاعة يركز على إصلاح ظاهرة اجتماعيّة أو انحراف أخلاقي شائع في حيّه أو بلده مثل الدروس التي يقوم بها أئمة بجاية في المساجد أو الإذاعة، بينما يركّز المفسّر في التفسير الكتابي على بيان المعنى المراد من الآيات، دون تطبيقها على الواقع بذكر انحرافات المجتمع ومحاولة إصلاحه من خلالها، كما هو الحال في تفسير الشيخ: سي حاج محمد محمد طيب .

7 . من حيث الأماكن التي يتواجد فيها كلّ واحد منهما:

فالتفسير الشفاهي نجده في أماكن عديدة منها:

أ - المساجد، مثل تفسير: الشيخ: ابن باديس "مجالس التذكير" الذي كان يلقيه في المسجد الأخضر بقسنطينة، وتفسير الشيخ: بيوض " في رحاب القرآن" الذي كان يلقيه في مسجد القرارة بغرداية .

ب - الإذاعات: سواء في أحاديث الصباح أو في البرامج الدينيّة التي تلقى في الإذاعة، وذلك مثل: تفسير " التيسير في أحاديث التفسير" للشيخ: المكي الناصري، الذي كان يلقيه في الإذاعة المغربية .

د - التلفاز: مثل: تفسير الشيخ: الشعراوي المصري، الذي كان يفسر القرآن في المسجد ويُبثُّ في التلفزة .

بل إن التفسير الشفاهي قد يلقي حتى في الشارع أو في وليمة أو غير ذلك لكثرة الدواعي والحاجة إليه .

وأما التفسير الكتابي فإنّه لخصوصيته له أماكن التي يتواجد فيها، مثل: مكاتب المساجد، أو مكاتب الجامعات أو

الزوايا والمدارس القرآنيّة، أو المكتبات العامة أو غيرها من الأماكن .

ومن خلال المقارنة بين التفسير الشفاهي والكتابي الأمازيغي في هذه المسألة؛ يظهر أن النوع الأقرب لجمهور الأمازيغ: هو التفسير الشفاهي، وذلك لتواجده في جلّ الأماكن التي يتواجد فيها عوام الناس وخاصتهم .

8 . من حيث الجمهور الذي يستهدفه كل واحد منها:

إذا ما قارنا بين الجمهور الذي يستهدفه التفسير الشفاهي والكتابي فإنّه يمكننا تسجيل الملاحظة الآتية:
في التفسير الشفاهي: الجمهور المستهدف هو المجتمع الأمازيغيّ كلّه بجميع أصنافه: الراعي والرعية، النساء والرجال، الصغار والكبار، المتعلم وغير المتعلم، بل وحتى المسلم وغير المسلم، لأنّه يلقي في أماكن شتّى، كما أن المفسر يراعي حال المستمعين ومستوى فهمهم، فإذا كان يقدّم تفسيراً موجّهاً لفئة الشباب فإنّه يركّز على النصائح العامة والتعريف بالإسلام والترغيب في القرآن، وإذا كان يخاطب كبار السن فإنه يركّز على الحثّ على العمل الصالح.
أما التفسير الكتابي، فهو يستهدف فئات خاصّة من المجتمع، لأنّه يُوجّه بالدرجة الأولى للطبقة المثقفة ويستبعد الطبقة غير المثقفة التي لا تتمكّن من قراءته بسبب صعوبة حروفه وعدم تعودّ الناس عليها، ونقص ثقافة القراءة عند الناس، وحتى الطبقة المثقفة نجدها تختلف في مستواها العلمي بين المتخصّص الذي يستوعب وغير المتخصّص الذي لا يستوعب، ولذلك على المفسر أن يختار أسلوباً يكتب به تفسيراً يفهمه جميع الطبقة المثقفة التي يوجه إليها تفسيره .

9 . من حيث الترتيب والتنظيم وعدمه:

إذا ما قارنا بين التفسير الشفاهي والكتابي في مسألة ترتيب الكلام من عدمه، فإننا نلاحظ ما يلي:
يمتاز التفسير الشفاهي - في الغالب - بعدم ترتيب المعلومات والفوائد التي تذكر، لأن الملقى قد ينسى شيئاً ثم يتذكّره بعد ذلك فيستدركه، وقد يتحدّث عن مسألة فيستفيض فيها لانتباه الناس إليه في الحديث عنها، وقد يحدث شيء أثناء تقديمه للدّرس فيتحدّث عنه، وقد يُسأل أثناء درسه عن سؤال فيجيب عنه، وهكذا .
أما التفسير الكتابي فيمتاز في الغالب بالترتيب والتنظيم للمعلومات، لأن المفسر قبل الكتابة يرتّب الكلام وينظّمه، وعندما ينتهي منه يراجعه ثم يطبعه حتى يخرجّه للناس لقراءته، فتجده مرتّباً منظّماً .

ثانياً: من حيث أوجه التشابه بين التفسير الشفاهي والكتابي:

إن كلّ ما ذكرناه سابقاً في العلاقة بين التفسير الشفاهي والكتابي والفروق بينهما، لا يعني أنه لا توجد أوجه للتشابه بين النوعين، بل إنّ هناك أوجه كثيرة في التشابه بينهما أكثر من أخصى، ولعل أهمّها ما يلي:
1 . المقصد المشترك من التفسير الشفاهي والكتابي هو بيان معنى كلام الله تعالى، وشرحه للناس ليسهل عليهم فهمه والعمل بمقتضاه، وذلك للفلاح في الدنيا والآخرة .

2 . اعتماد كل من التفسير الشفاهي والكتابي على نفس الآليات وشروط التفسير والمفسر؛ من العلم باللغة العربية و أسباب النزول و القراءات وغير ذلك مما اشترطه العلماء لمن أراد تفسير معاني كلام الله تعالى، ولم يفرقوا في ذلك بين كون هذا التفسير شفاهيا أو كتابيا، فإذا كان ترجمة لغير العربية اشترط فيه معرفة اللغة المترجم إليها معرفة تامة .

3 . أن العلاقة بينهما علاقة تحولية تكاملية؛ فقد يتحوّل التفسير الكتابي إلى شفاهي إذا قرئ في المساجد أو الإذاعات أو التلفزة أو غيرها، وقد يتحوّل التفسير الشفاهي إلى كتابي، ويكون ذلك بطرق متعدّدة منها:

الأولى: التحرير المباشر من طرف بعض الطلبة عن شيوخهم؛ فالشيخ يفسر والطلبة يتلقون الدروس ثم يفرغونها بشيء من التلخيص والترتيب وقد يعرضونها على الشيخ ليقومها؛ كما فعل محمد رشيد رضا مع دروس شيخه: محمد عبده .

الثانية: التسجيل الصوتي في أشرطة مسموعة يتم استنساخها بعد ذلك في دفاتر للتمحيص، ثم طبعها في كتب مطبوعة ومثال: ذلك العمل الذي قام به الطالب: عيسى الشيخ بالحاج مع تفسير شيخه إبراهيم بيوض " في رحاب القرآن " .

الثالثة: من خلال مجهود المفسر نفسه، حيث ينتقي بعض الكلام الذي ألقاه ثم ينشره في مجلة أو كتاب، ومثاله ابن باديس الذي كان ينتقي بعض الدروس الشفاهية ممّا له علاقة بقضية من قضايا المجتمع وأزماته لينشرها في مجلة الشهاب ، وبعد وفاته جمع تلك الافتتاحيات تلميذه: أحمد بوشمال في كتاب سماه: " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" ¹.

وبعد هذا المقارنة بين التفسير الشفاهي والكتابي يتبيّن لنا أنّ لكل من هذين النوعين خصوصيات ومميّزاته التي تميّزه عن غيره، إلا أنه يمكن القول وبلا تردّد بأن التفسير الشفاهي الأمازيغي في الوقت الحالي أنفع للمجتمع الأمازيغي من التفسير الكتابي، وذلك لخصائصه السابقة وكذا سلامته من كثير من إشكالات الترجمة الكتابية التي سيأتي بيانها .

المبحث الثالث: ضوابط يجب مراعاتها في تفسير القرآن الكريم باللغة الأمازيغية:

إن أكبر خطورة تواجه ترجمة معاني القرآن الكريم إلى أيّ لغة من لغات العالم، تكمن في كونها تتعلق بأعظم كتاب وأصحّه على مدار التاريخ وهو القرآن الكريم الذي هو معجز بلفظه ومعناه، ولذلك وجب على من يقبل على هذا العمل العظيم: أن يراعي أموراً فيأتي بها ويحتاط من أمور فيحذر من الوقوع فيها، حتى تكون ترجمته صحيحة ويحصل المقصد منها وهو: تقريب معاني القرآن لغير العرب، وهذا العمل أمانة عظيمة لمن أسندت إليه أو تصدّى لها من تلقاء نفسه، ومن أهم الضوابط التي يجب على المترجم أن يراعيها في تفسيره ما يلي:

1 - أن يكون المترجم عارفاً باللغة العربية مدركا لخصائصها وأساليبها ممارسا لها متمكناً منها، وذلك لتكون له القدرة على تذوق النص القرآني وفهم دلالاته، فتكون ترجمته تقرّب معاني كلام الله تعالى حقيقة، يقول مجاهد رحمه الله: "لَا يَحِلُّ

¹ التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، د: نادية وزناجي، (ص: 79 - 80) .

لأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ"¹. ويقول الإمام مالك رحمه الله :
"لَا أُوتِيَ بِرَجُلٍ يُفَسِّرُ كِتَابَ اللَّهِ غَيْرَ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا"².

2 - أن يكون المترجم متمكنا من معرفة علوم القرآن وكل المعاني المحيطة بالآية، فيكون على علم بسبب نزول الآية والقراءات الواردة فيها والمعنى الإجمالي لها وغير ذلك، حتى لا يحتمل الآية ويفسرها بمعنى غير المعنى المراد منها .

3- أن يكون المترجم عالما بأصول الشريعة ومبادئها العامة ولو على وجه الإجمال، حتى يدرك معاني المصطلحات التي يفسر بها ومدلولاتها الشرعية، فتكون له القدرة للتعبير عن المعنى المراد بالمصطلح المناسب دون مخالفة حقيقة شرعية .

4 - أن يكون المترجم متمكنا من اللغة الأمازيغية، وذلك لتكون له القدرة على اختيار المفردة المناسبة الدقيقة للتعبير عن المعنى المراد دون تحريفه، لأن المعرفة السطحية للغة المترجم إليها تورث الخطأ في التعبير والتحريف للمعنى³ .

5 - أن تستوفي الترجمة جميع معاني الأصل ومقاصده على أكمل وجه حتى لا يُحرف معنى الآية، ويكون ذلك بكتابة تفسير لمعاني القرآن باللغة العربية ثم ترجمته، أو يترجم المعاني مباشرة بعد فهمها فهما صحيحا .

6 - أن لا تكتب الآيات القرآنية إلا بالحرف العربي، ويُتميز بينها وبين الترجمة بفاصل واضح .

ومما يحسن التنبيه عليه هنا، القرار الذي أصدره علماء الأزهر المقتضي جواز ترجمة معاني القرآن بشروط، هي:

1 - أن يكون التفسير خاليا ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلا ما استدعاه فهم الآية .

2 - ألا يُتعرض فيه للنظريات العلمية؛ فلا يذكر مثلا التفسير العلمي للرعْد والبرق عند آية فيها رعد وبرق، ولا رأي الفلكيين في السماء والنجوم عند آية فيها سماء ونجوم، إنما تفسير الآية بما يدل عليه اللفظ العربي ويوضح موضع العبرة والهداية فيها .

3 - إذا مست الحاجة إلى التوسّع في تحقيق بعض المسائل وضعته اللجنة في حاشية التفسير .

4 - ألا تخضع اللجنة إلا لما عليه الآية الكريمة فلا تتقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية ولا مذهب معين من المذاهب الكلامية وغيرها، ولا تتعسف في تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة ونحو ذلك .

5 - أن يفسر القرآن بقراءة حفص ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى إلا عند الحاجة إليها.

6 - أن يجتنب التكلف في ربط الآيات والسور بعضها ببعض .

7 - أن يذكر من أسباب النزول ما صحّ بعد البحث وأعان على فهم الآية .

¹ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (ج:1/ص: 292) .

² البرهان في علوم القرآن، (ج: 1/ص: 292) .

³ ضوابط ترجمة معاني القرآن الكريم، حكمت بن بشير بن ياسين، مراجعة: محمد بن عبد الله الحلواني، ط: 1، سنة:

1432هـ/2011م . (ص: 15-17) .

8 - عند التفسير تذكر الآية كاملة أو الآيات إذا كانت كلها مرتبطة بموضوع واحد ثم تُحرَّرُ معاني الكلمات بدقة، ثم تفسَّر معاني الآية أو الآيات مسلسلة في عبارة واضحة قوية، ويوضع سبب النزول والربط وما يؤخذ من الآيات في الوضع المناسب .

9 - ألاّ يصار إلى النسخ إلا عند تعذر الجمع بين الآيات .

10 - يوضع في أوائل كلِّ سورة ما تصل إليه اللجنة من بحثها في السورة؛ أمكّية هي أم مدنيّة؟ وماذا في السورة المكية من آيات مدنية والعكس .

11 - توضع للتفسير مقدّمة في التعريف بالقرآن وبيان مسلكه في كلِّ ما يحتويه من فنونه كالدعوة إلى الله وكالتشريع والقصاص والجدل ونحو ذلك، كما يذكر فيها منهج اللجنة في تفسيرها ¹ .

هذه هي الشروط التي وضعها علماء الأزهر كضوابط لترجمة معاني القرآن لغير اللغة العربية .

ومّا ينبغي التنبيه إليه هنا أيضا؛ المجهود العظيم الذي قام به مُجمِّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، حيث أصدر تفسيراً مختصراً باللّغة العربيّة ليكون عمدة في المجمع، والغرض منه ترجمته إلى لغات العالم الأخرى غير اللغة العربية، وقد اتّبَعوا في ذلك طريقة علميّة سيأتي ذكرها في مبحث المقترحات ليستفاد من تلك التجربة .

المبحث الرابع: المشكلات والحلول في تفسير القرآن الكريم باللغة الأمازيغية (مشكلات الشفاهي والكتابي):

بعد أن عرفنا الضوابط التي يجب أن يراعيها من أراد ترجمة معاني القرآن الكريم للغة للأمازيغية، أتحدّث في هذا المبحث عن المشكلات والعوائق التي قد تعترى هذه الترجمة الأمازيغية؛ شفاهية كانت أو كتابية، ثم أتبعها بذكر بعض الحلول المقترحة إن اهتديت إليها؛ إمّا من اجتهادي الخاص أو من الواقع العملي لبعض المترجمين، وهي كما يلي:

1 - عدم وجود معجم رسمي متداول للغة الأمازيغية بإشراف مجموعة من العلماء يُتخذ كمرجع يرجع إليه المترجم في ترجمته لبعض الكلمات؛ وهذا ما يُصعب عمليّة الترجمة إلى اللّغة الأمازيغية .

ومن الحلول المقترحة لهذه المشكلة ما فعله المترجم الجزائري الشيخ "سي حاج محند محند طيب" في ترجمته للقرآن باللّهجة القبائلية، حيث ذكر أن هذه المشكلة من أكثر الصعوبات التي واجهته في ترجمته حتى أنه كان في بعض الأحيان يراجع النصّ المترجم خمس عشرة مرة ليتأكد من صحّته، لذلك فقد لجأ الشيخ إلى بعض الطرق التي قد تقرّب معنى الكلمة بين اللغتين العربية والأمازيغية، ومن تلك الطرق:

أ - اللجوء إلى استعراض بعض الأشعار بالقبائلية للاستعانة بها في معرفة بعض الكلمات .

ب - تصيّد بعض التعبيرات في المعاملة اليوميّة للسكان الأمازيغ، بغرض توظيفها في الترجمة .

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط: 3، (ج: 2/ص: 170-171) .

ت - تأجيل الترجمة إذا استعصى استحضر التعبير المناسب . وغير ذلك من الطرق .

فهذا كله جهدٌ إضافيٌّ ترتّب على انعدام القاموس الأمازيغي المعتمد، ولو وُجِدَ لزال هذا الإشكال¹ .

وهذا الإشكال يعتري كلاً من الترجمة الشفاهية أو الكتابية، إذ وجود القاموس يسهّل عملية الترجمة على المفسر في كلٍّ منهما، سواء كان تفسيره شفاهياً أو كتابياً .

2 - اختلاف اللهجات في اللغة الأمازيغية نفسها، فاللغة الأمازيغية كما هو معلوم لها لهجات كثيرة، من أشهرها في بلدنا الجزائر: القبائلية والمزابية والشاوية والطارقية، وبين هذه اللهجات من الاختلاف الشيء الكثير، فإذا ما ترجمت معاني القرآن باللهجة القبائلية مثلاً، فإن الشاوي أو المزابي لا يفهم كثيراً منها .

وهذا الإشكال يعتري المفسر إذا كان ترجمته ترجمة مكتوبة لأنها إذا طبعت يقرأها الجميع فيفهما أصحاب تلك اللهجة دون غيرهم - هذا في الغالب - .

أما الترجمة الشفاهية فإن هذه الإشكالية تطرح فيها لكن بنسبة أقل، لأن غالب من يفسر القرآن ويتجمه للأمازيغية ترجمة شفاهية تجده يخاطب القوم المنتمي إليهم فتجده يتقن لهجتهم فيفهمون تفسيره بلا عناء ولا مشقة، في حين لو استمع لهذه الترجمة من لا يحسن اللهجة المترجم إليها فإنه يفهم جزءاً ويلتبس عليه جزء آخر، وقد لا يفهم كثيراً منها، كما لو سمع الطوارق ترجمة بالقبائلية أو العكس فإن بين اللهجتين اختلاف في كثير من المصطلحات . وسياقي ذكر حلّ مقترح لهذه المشكلة والتي بعدها لأنها فرع عنها في آفاق الترجمة الأمازيغية .

3 - ثم هناك مشكلة أخرى تتفرّع عن المشكلة السابقة، وهي: أن اللهجة الواحدة قد تختلف من منطقة إلى أخرى، فمثلاً: اللهجة القبائلية تجد اختلافًا في كثير من المصطلحات بين منطقة تيزي وزو وبعض المناطق في بجاية (كخرّاطة مثلاً)، فيقع المترجم في إشكال وهو اللهجة يترجم معاني القرآن الكريم إليها، فيضطرّ إلى ترجمته بلهجة المنطقة التي ينتمي إليها ممّا يؤدي إلى عدم الاستيعاب الكلي للترجمة من أهل المنطقة الأخرى التي تختلف لهجتها عنها .

4 - من أكبر مشكلات التفسير الكتابي للأمازيغية؛ الحرف الذي يكتب به هذا التفسير، فإنه من المعلوم أن الحرف الأصلي لكلّ لغة هو الأسلم في كتابة كلماتها، فحتّى إذا سلمنا بأن الحرف الأصلي لكتابة اللغة الأمازيغية، هو حروف "التيفيناغ"² - إن صح ذلك - ، فإنه يبقى إشكال مطروح وهو: أن هذا الحرف صار مجهولاً عند جمهور الأمازيغ؛ فلا يتقن كتابة وقراءة حروف التيفيناغ إلا القليل من مثقفي الأمازيغ، وأما جمهورهم فإنهم لا يحسنون قراءة ولا كتابة حروف التيفيناغ .

¹ مقدمة ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأمازيغية، للشيخ: سي حاج محند محند طيب، طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، سنة: 2013 م .

² التيفيناغ: أبجدية قديمة كانت تستخدم في شمال إفريقيا للتواصل بين الأمازيغ في الشمال والطوارق في الجنوب .

ومن الحلول التي أوجدها بعض المترجمين للغة الأمازيغية لتجاوز هذا الإشكال؛ أنهم بحثوا عن الحروف الأقرب لكتابة حروف الكلمات الأمازيغية ولو آتياً فقط، حتى تُعَلَّم أحرف التيفيناغ لجمهور الأمازيغ، فوجدوا أن أقرب حرف لكتابة الكلمات الأمازيغية هي الحروف العربية؛ ذلك لمعرفة جمهور الأمازيغ للغة العربية أولاً، ثم تقارب نطق الحروف بين اللغتين ثانياً، لذلك فقد ظهرت عدّة ترجمات للغة الأمازيغية كتبها أصحابها بالحروف العربية، كما هو الحال عند الأستاذ الباحث: جهادي الحسين با عمراي المغربي الذي ترجم معاني القرآن للأمازيغية وكتبها بالحروف العربية، وكذلك الشيخ: سي حاج محمد محمد طيب الجزائري في ترجمته المشهورة والتي طبعها مجمع الملك فهد .

وكتابة تفسير معاني القرآن بالحروف العربية هي مسألة وقت فقط، حتى يتعلّم الناس الحروف الرسمية للغة الأمازيغية وهي "التيفيناغ"، كما ذكر ذلك إبراهيم أحياط أحد منظري الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، حيث قال: "بأن هذه مسألة مرحلية فقط، لأن المجتمع ليس مؤهلاً بعد للتقبّل أو الالتفاف حول الترجمة بحروف تيفيناغ"¹ .

وينبغي التنبيه إليه هنا: أنّ اللجوء إلى كتابة الترجمة الأمازيغية بالأحرف العربية لا يعني أن الإشكال قد انتهى، بل يبقى هناك إشكال قائم وهو الخصوصية التي تعترى بعض الكلمات في بعض اللهجات الأمازيغية .

ونذكر على سبيل المثال التجربة التي قام بها الشيخ: سي حاج محمد محمد طيب، من كتابة تفسيره القبائلي الجزائري بالأحرف العربية . فقد وجد إشكالا في خمسة أحرف (أصوات) في اللهجة القبائلية لا يوجد نظيرها في الأحرف العربية، مع أن تلك الأحرف كانت في الأصل عربية لكن لما كانت لا تناسب النبرة والنظم الأمازيغي، تغيرت فصارت لا تنطق ولا توجد في الأحرف العربية، لذلك سعى المترجم إلى رسمها على وفق أقرب حرف لها ثم تمييزها عنه برمز من الرموز، وقد بين ذلك كلّ في مقدمة ترجمته حتى يتمكن القارئ في التفسير من قراءتها، وعنون لذلك بقوله " وهذا تقريب لكيفية النطق السليم بالحروف المعدلة:

- 1- ژ = ينطق بالأمازيغية (ز أو Z) مفخم، بين (ز،ظ)، مثل كلمة "أَرزُقي": رزقي .
 - 2- چ = ينطق بالأمازيغية بين (ج و ي) ، مثل كلمة "أچزار": جزار، أو يُجَزِرُت: جزيرة .
 - 3- گ = ينطق بالأمازيغية بين حرفي (ك،خ)، مثل كلمة "يگتّب" : يكتب .
 - 4- پ = ينطق بالأمازيغية مثل الحرف اللاتيني (V) مثل: كلمة "الپَر": البر، ومثل "الپحر": البحر .
 - 5- ق = ينطق بالأمازيغية مثل حرف (ج) عند المصريين، مثل كلمة "أَرَبَقُ": ربة .
- وهذا كلّ ساهم في تقريب النطق الأمازيغي الصحيح لهذه الحروف .

¹ من مقال بعنوان "حول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية"، كتبه الباحث المغربي: جواد الشقوري، ونشره في: 31/01/2005 . موقع: إسلام أونلاين .

5 . تمتاز اللغة العربية على وجه العموم والقرآن الكريم على وجه الخصوص بكلمات متقاربة في المعنى لكن بينها فروق دقيقة لا يميّز بينها إلا الحاذق فيها، قال الخطابي: " ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كالعلم والمعرفة ، والحمد والشكر ، والبخل والشح ... ومن وعن ، ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات مما سنذكر تفصيله فيما بعد ، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك"¹ ، فإذا كان هذا في اللغة العربية فكيف بالقرآن المعجز بلفظه ومعناه، فقد يعيّر القرآن بالأسماء المتنوّعة للأمر الواحد، والمعنى مختلف حسب السياق والمقاصد الخاصة لكلّ آية وسورة، وهنا يظهر الإشكال في الترجمة؛ لعدم وجود الألفاظ التي تؤدّي نفس المعاني التي وردت في الكلمات القرآنية المتقاربة، فتجد المترجم لا يراعي هذه الفروق الدقيقة فيعبّر عن الألفاظ المتقاربة بنفس العبارة في جميع المواضع، فيفقد النص جانبا من أصالته وإعجازه، كأن يوصف القرآن الكريم بأنه: هدى ونور وذكرى وفرقان، لكن بينها فروق في المعنى² .

ومثال ذلك في ترجمة الشيخ: سي حاج محمد محمد طيب، كلمة "الرب" و"الله"، فإن بينهما عدة فروق منها: أن الرب مشتق من الربوبية والله مشتق من الألوهية، ومنها: أن المشركين أقروا بالربوبية وأنكروا الألوهية، ومنها: أن الربوبية تتعلق بتوحيد الله في أفعاله كالخلق والرزق وغيرها، والألوهية تتعلق بتوحيد الله بأفعال العباد كالصلاة والدعاء وغيرها؛ فرغم هذه الفروق إلا أنه كان يعبر عنهما بلفظة "رب".

كما في قوله تعالى **چ پ پ پ پ پ** **چ الفاتحة: ٢** ، حيث قال: " **أَحْمَدُ رَبِّ**"³ .

وفي قوله تعالى **چ ڈ ڈ ه ه ه ه ه** **چ البقرة: ٢٥٥** ، حيث قال: " **رَبِّ أَدْنَسًا كَأَن وَحَدَسَ** ..." ⁴ .

وهذا الإشكال يعتري كلاً من الترجمة الكتابية أو الشفاهية، إذ كلّ واحدة منهما تعجز عن التعبير الدقيق للفظ القرآني التي تغيّر مبنائها فتغيّر معناها، لذلك على المترجم أن يجتهد في تقريب المعنى الصحيح قدر المستطاع .

6 . مسألة المصطلحات القرآنية ودقة معناها؛ والتي لا يمكن أن تعبّر عنها بلغة أخرى فتؤيّلها حقها، مثل مصطلحات

"القرآن" و "الحج" و "الزكاة" و "جهنم" وغيرها من المصطلحات التي وردت في القرآن الكريم .

والحلّ الذي قام به بعض المترجمين لمحاولة تجاوز هذه المشكلة، أنّهم اتبعوا في ذلك طريقتين:

الأولى: أن تُترك اللفظة العربيّة لكنها تكتب أو تنطق كما ينطقها الأمازيغ، مثل الكلمات الآتية: "القرآن"، ترجمت في

چ ق ق ق ق ق ق ق **چ يس: ١ - ٢** ، ب: " يا . سين . ق لَع سَأَلُقرآن العَظِيم" ⁵ .

¹ بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، ت: محمد خلف الله، و محمد زغول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، ط: 3، سنة: 1976م، (ص: 29) .

² مقال بعنوان "حول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية"، للباحث: جواد الشقوري .

³ ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 1) .

⁴ ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 37) .

⁵ ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 397) .

وكلمة الحج ترجمت بـ "الحِجِّ"، كما في قوله تعالى ج أ ب ب ج البقرة: ١٩٧ ترجمت بـ: " الحِجِّ أَذْلَشُهُوزْ مَعْلُومِيثْ " ¹ . ومثل كلمة " جهنم " ترجمت بـ " آجْهَنَامَا " ² .

والثانية: أن يختاروا لفظة أمازيغية يقارب معناها معنى اللفظة القرآنية، مثل ج ب ب ج، نجد أن الشيخ سي حاج محمد طيب، عبر عنها في جميع القرآن "ذَخِينُ يَنْشُورُ دَالْحَانَا" مع ما بين لفظتي "الرحيم" والحنين" من الفرق .
ومثل: سورة "البلد" ترجمها بقوله "مُورْثُ" ، مع أن البلد المقصود في السورة مكة وليس مطلق البلد .

7 . ومما يلحق بالإشكالية السابقة، مشكلة الأحرف المقطعة التي افتتحت بها تسع وعشرون سورة، وكيفية ترجمة معانيها: فالأحرف المقطعة التي وردت في القرآن الكريم فيها خلاف كبير بين العلماء .

وهذه المشكلة تجاوزها بعض المترجمين باختيار قول واحد يسير عليه في جميع القرآن؛ فمنهم من يُتبعها بعبارة (الله أعلم براده)، كما كان يفعل المترجم المغربي: جهادي الحسين باعمراني، فكان يقول مثلاً في "ألف لام ميم/ ألف لام راء/ طه/ حم" عبارة: "رَبِّي كَانَ يَسَّرَ مَا سَرَسَ يُوَاتَسَ" أي: ربي وحده يعلم معناه ³ .

ومنهم من يختار قولاً راجحاً في بداية أول موضع وردت فيه هذه الأحرف وهو: سورة البقرة، ثم يثبت عليه في جميع تفسيره، كما فعل المترجم الجزائري سي حاج محمد طيب، فقد اختار قولاً في أول سورة البقرة، فقال: " أَتَسْرُثِينُ أَسْلَخُرُوفُ، أَتَخَالَفُنُ الْعُلَمَا عَقَالَمَعْنَى الْحُرُوفِي. أَفْقَرِبَ أَعْرَضَوَابُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَذْلُقْرَانُ إِمُورْمَرْنَا الْحَلَايِقُ أَدُوِينُ أَمْتَسَا، يَزْنَا سَاخُرُوفُ أَنْسَنُ إِذِينَزَلُ" ⁴ . بمعنى: أن هذه الحروف التي تفتتح بها السور اختلف العلماء في معناها، وأرجح الأقوال فيها - والله أعلم - أن الخلق يعرفون الحروف التي نزل بها القرآن، ومع ذلك فهم عاجزون ولم يستطيعوا الإتيان بمثله .

ثم اكتفى بكتابة هذه الأحرف المقطعة فقط في كل موضع من المواضع التي يمرّ بها في سور القرآن الكريم، مثل فاتحة سورة مريم، التي قال فيها، "كهيعص: كاف - ها - يا - عين - صاد" ثم شرع في تفسير السورة ⁵ .

8 . آيات العقيدة التي يجب الاحتياط في ترجمتها، فإن المترجم عليه أن يحتاط ويحتز كل الاحتراز في ترجمة آيات العقيدة ، خاصة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وأسماء اليوم الآخر والأسماء التي وردت في وصف نعيم الجنة، أو عذاب النار ، لأن اختيار لفظة غير مناسبة يمكن أن يحرف المعنى، أو ينسب إلى الله تعالى ما لا يليق به .

وهذا الإشكال تتفرع عليه إشكالات أخرى كأن يكون المترجم صاحب عقيدة منحرفة يحاول نشرها من خلال ترجمة آيات العقيدة إلى معان باطلة توافق عقيدته ويذكرها على أنها هي المعنى المراد من الآية .

¹ ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 28) .

² ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 553) .

³ مقال بعنوان "حول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية"، للباحث المغربي: جواد الشقوري .

⁴ ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 2) .

⁵ ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية، (ص: 269) .

وهذا الإشكال يمكن تجاوزه في الترجمة الكتابية بأن تكلف الهيئات الرسمية لجنة موثوقة ترأب الترجمة قبل أن تطبع، وتصحح الأخطاء الواردة فيها .

أما في الترجمة الشفاهية فإن الأمر من الصعوبة بمكان، لأن الكلمة إذا خرجت من فم المفسر فإنه لا يمكن إمساكها ، إلا برجوع المترجم عنها أو تحذير الناس وتنبههم على الخطأ الوارد من المترجم في تفسيرها .

المبحث الخامس: آفاق الاستفادة من التفسير الشفاهي والكتابي الأمازيغي:

إن الناظر إلى واقع التفسير الأمازيغي في حياة الناس، يعلم أنه لم يبلغ بعد ما كان مرجوًا منه، من انتشاره بين الأمازيغ وتقريبه لمعاني القرآن الكريم وغير ذلك، لذلك وإضافة إلى بعض الحلول الخاصة التي ذكرتها في مشكلات الترجمة الأمازيغية، فإني دوت هنا مجموعة من المقترحات العامة والتي من شأنها أن تساهم في الرقي بالتفسير الأمازيغي إلى مراتب العلى، وهذه المقترحات مشتركة بين التفسير الشفاهي والكتابي وهي كما يلي:

أولاً: كتابة تفسير باللغة الأمازيغية يكون صادرًا عن هيئة حكومية رسمية حتى يكتسب عنصر ثقة القارئ، لأن الجهود الفردية مع عظم نفعها وعلو قدرها إلا أنها لا تلقى قبولًا واسعًا من جماهير القراء بسبب فقدان عنصر الثقة في صاحب تلك الترجمة، لما قد يعتريه من ترجمة معنى لنصرة مذهبه العقدي أو تأييد رأيه السياسي أو غير ذلك .

ويكون دور تلك الهيئة تكوين لجنة علمية تتضمن مجموعة من العلماء والباحثين في تخصصات مختلفة، فتضم ممثلين من كل لهجة من اللهجات الأمازيغية المعتمدة، ويشترط فيمن يكون عضواً في تلك اللجنة أن يكون محيطاً باللغة العربية واللغة الأمازيغية، إضافة إلى الشروط الأخرى التي يجب توفرها فيمن أراد تفسير كلام الله تعالى، وتضم اللجنة أيضاً فقهاء وعلماء في العقيدة وفي غير ذلك من التخصصات، ويكون دور هذه اللجنة كما يلي:

تأليف تفسير لمعاني القرآن الكريم ثم ترجمته للغة الأمازيغية، أو اختيار كتاب من كتب التفسير المختصرة، ثم ترجمته إلى اللغة الأمازيغية بأسلوب سهل ميسر، وهذه الطريقة الثانية أفضل، والرائد في هذه الفكرة هو "مجمع الملك فهد" الذي سعى لإصدار تفسير مختصر باللغة العربية يكون عمدة في المجمع، قام به مجموعة من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور: عبد المحسن بن عبد الله التركي، وذلك بغرض ترجمته إلى لغات أخرى غير اللغة العربية، وقد كانت الطريقة المتبعة في تحرير هذا التفسير موافقة للضوابط الآتية:

- 1 - تفسير الآيات وفق مذهب السلف الصالح في الاعتقاد .
- 2 - تقديم ما صحَّ من التفسير بالمأثور على غيره .
- 3 - الاقتصار في النقل على القول الصحيح أو الأرجح .
- 4 - إبراز الهداية القرآنية ومقاصد الشريعة من خلال التفسير .
- 5 - كون العبارة مختصرة سهلة، مع بيان معاني الألفاظ الغريبة أثناء التفسير .

6 - وقوف المفسر على المعنى المساوي للآية، وتجنب الزيادة الواردة في آيات أخر، كي تُفسر في موضعها .

7 - إيراد معنى الآية مباشرة دون الحاجة إلى الأخبار، إلا ما دعت إليه الضرورة .

8 - كون التفسير وفق رواية حفص عن عاصم .

9 - تجنب ذكر القراءات، ومسائل النحو والصرف والإعراب، والبلاغة .

10 - تفسير كل آية على حدة، ولا تعاد ألفاظ النص القرآني إلا لضرورة، ويذكر في بداية تفسير كل آية رقمها¹.

ثانيا: الاتفاق على حروف يكتب بها هذا التفسير الأمازيغي وتكون هي حروف اللّغة الأمازيغية، سواء أكانت حروف التيفيناغ أو حروف اللغة العربية أو غيرها، ولكن تحقيق هذا الأمر من الصعوبة بمكان، وذلك ل:

1- اندثار حروف التيفيناغ وعدم معرفة الأمازيغ الحاليين للقراءة أو الكتابة بها - إلا القليل منهم - .

2 - بالنسبة لكتابة الترجمة بحروف اللغة العربية تطرح مشكلة اختلاف اللهجات في اللغة الأمازيغية، بين القبائلية والمزابية والشاوية وغيرها، فإذا أرادت اللجنة أن تترجم كلمة فبأي لهجة تترجمها؟ لذلك يأتي المقترح الآتي:

تكليف كل ممثل من اللجنة المكلفة بالترجمة بالإشراف على ترجمة ذلك التفسير المنتخب للّهجة التي ينتمي إليها، فيكون عندنا: تفسير للقرآن الكريم باللّغة الأمازيغية وفق اللهجة القبائلية، وتفسير للقرآن الكريم باللّغة الأمازيغية وفق اللهجة المزابية، وتفسير للقرآن الكريم باللّغة الأمازيغية وفق اللهجة الشاوية، حتى يكون للجميع الحق في فهم معاني كلام الله، وهذا المقترح يصح في حالة انعدام حروف أو كلمات تتفق عليها اللهجات الأمازيغية كما هو الواقع .

ثالثا: ينبغي تدريس مادة تفسير القرآن الكريم باللّغة الأمازيغية في المساجد وفق ما يعرف بنظام "الكراسي العلمية"، فإنّ لهذه الكراسي العلمية الأثر البالغ في نفوس المستمعين، خاصة إذا أعطيت هذه الكراسي حقها من التغطية الإعلامية التي ترغب الناس في حضورها وتعرّف بها، ثم تنقل هذه الدروس التي تلقى فيها عبر الإذاعة والتلفزة وغيرها من وسائل الاتصال عبر القنوات الرسمية، حتى لا تكون مقتصرة على الحاضرين في المساجد فقط، وحتى يسمعها المسلمون وغيرهم، ولو كانت هذه الكراسي العلمية يقرأ فيها من التفسير الذي تؤولفه اللجنة السابق ذكرها لكان أحسن، إذ يجمع فيها المتتبع بين السماع والمتابعة من الكتاب فيحصل بذلك النفع العظيم .

رابعا: تعميم أقسام العلوم الإسلامية في جامعات الولايات التي يغلب على سكانها التحدّث باللّغة الأمازيغية، مثل ولاية بجاية، تيزي وزو، خنشلة، وغيرها، كما هو الحال في بعض الجامعة مثل جامعة: باتنة، البويرة، غرداية، وغيرها، ثم برمجة مقاييس جديدة للدراسة تتعلق بتفسير القرآن الكريم باللّغة الأمازيغية، وتكون خاصة بالطلبة القاطنين بتلك الولايات، مثل: مقياس: غريب القرآن بالأمازيغية، ومقياس: أسماء السور بالأمازيغية، مقياس: علوم القرآن بالأمازيغية وهكذا،

¹ التفسير الميسر الصادر عن مجمع الملك فهد، (ص: 9) .

ويشرف على تدريسها أساتذة متخصصون في التفسير لهم دراية باللغة الأمازيغية الأكاديمية، وذلك حتى يتمكن هؤلاء الطلبة المتدربون من اللغة الأمازيغية الأكاديمية فيكونون دعاة ومفاتيح خير في ولايتهم .

خاتمة:

والخلاصة التي نخرج بها من هذه الرحلة بين التفسير الشفاهي والكتابي في جميع النواحي السابقة، هي أنّ تلك الفروق بينهما لا تعني انتقاص أحدهما أو ترجيحه على الآخر من كل وجه، بل إنّ لكلّ من هذين النوعين خصوصياته ومميّزاته التي تميّزه عن غيره، وقد يُرَجَّح أحدهما على الآخر بناء على معطيات معيّنة .

لكنّ الأقرب لتحصيل المقصود من تفسير القرآن باللغة الأمازيغية هو التفسير الشفاهي، وذلك لأمر من أبرزها:

- 1 . أنه أيسر للفهم إذ يخاطب القوم باللهجة التي يفهمونها، قبائليّة أو مزايبيّة أو غيرها من اللهجات، لذلك فتأثيره في نفوس المستمعين يكون أبلغ من الكتابي .
- 2 . كونه يتيح السؤال والاستفسار لمن لم يفهم معنى من المعاني .
- 3 . أنه يوجّه لجميع أطراف المجتمع الأمازيغي المثقف والجاهل، الصغير والكبير .
- 4 . كونه يُلقى في جلّ الأماكن التي يقصدها الأمازيغيّون كالمساجد والإذاعات والتلفاز وغيرها .

أما التفسير الكتابي الأمازيغي؛ فرغم فوائده الجمّة إلاّ أنه تعثره إشكالات كثيرة تجعله أقلّ إفادة من الشفاهي -

خاصة في الوقت الراهن - ومن هذه الإشكالات على سبيل المثال:

- 1 . الحرف الذي يكتب به التفسير الأمازيغي؛ هذا الأمر الذي أحدث إشكالا كبيرا في كتابته، بسبب تعدد اللهجات الأمازيغية وعدم وجود الحرف المتفق عليه الجامع بين هذه اللهجات .
- 2 . التفسير الكتابي الأمازيغي يكون موجّها للطبقة المثقفة، ولكن خصوصية سكان المجتمع الأمازيغي - وأخص بالذكر القبائلي - تجعلهم يفضلون السكّنى في الجبال والمناطق الوعرة، ممّا أدى إلى قلة المقرؤيّة وانتشار الأميّة في كثير من القرى والمداشر القبائلية، هذا الأمر الذي يحدّ من استفادة هؤلاء من الترجمة المكتوبة، وقد يكون بعضهم يعرف اللهجة القبائلية دون غيرها فأنتى له أن يقرأ أو يفهم تفسيراً مكتوباً للقرآن الكريم بالعربية أو غيرها، بل حسّبه أن يحسن قراءة سورة الفاتحة وقصار السور لأداء فريضة الصلاة .

فهذه الإشكالات وغيرها لا تعترض التفسير الشفاهي الأمازيغي للقرآن الكريم - في الغالب - ممّا يرجحه على الكتابي والواقع يؤيد ذلك، إذ نرى اهتمام الأمازيغيين بالتفسير الشفاهي، مثل ترجمة سي حاج محمد محمد طيب المسموعة فإن لها صيت كبير في وسط المجتمع القبائلي وهي متداولة بينهم بكثرة، أما تفسيره الكتابي فالكثير منهم لا يعلم بوجوده أصلاً، ومن علم بوجوده لا يطّلع عليه إلاّ قليلاً .

ويمكن أن يقال في الأخير: أن أفضل طريقة للاستفادة من المنهجين (الشفاهي والكتابي) هي كتابة تفسير مترجم للأمازيغية من قبل هيئة رسمية، ثم يُقرأ هذا التفسير في المساجد ويُنقَّط في الإذاعات والتلفاز ليستفيد منه الأمازيغيون .

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم، مصحف المدينة برواية حفص عن عاصم .
- 2- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، برقم: 5 /951 وتاريخ 1406/8/5، ط: 1، سنة: 1407هـ/1986م .
- 3- أحكام ترجمة القرآن الكريم، جلال الدين بن الطاهر العلوش، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، سنة: 1429هـ/2008م .
- 4- بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان الخطابي، ت: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، ط: 3، سنة: 1976م .
- 5- ترجمات معاني القرآن وتطور مفهومه عند الغرب، عبد الله عباس الندوي، كتاب نشر ضمن الكتب الشهرية التي تصدر عن رابطة العالم الإسلام، العدد: 174، جمادى الآخرة، سنة: 1417هـ .
- 6- ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الأمازيغية، للشيخ: سي حاج محمد محمد طيب، طبعه مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، سنة: 2013م .
- 7- التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث، د: نادية وزناجي، جامعة باتنة، سنة: 1429هـ/2008م .
- 8 - التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة .
- 9- تفسير المنار، محمد رشيد رضا ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1990م .
- 10- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1421 هـ / 2001 م .
- 11- ضوابط ترجمة معاني القرآن الكريم، حكمت بن بشير بن ياسين، ط: 1، سنة: 1432هـ/2011م .
- 12- في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1، سنة: 1416هـ / 1995م .
- 13- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت - لبنان، ط: 8، سنة: 1426 هـ / 2005 م .

- 14- مقال بعنوان "حول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية"، كتبه الباحث المغربي: جواد الشقوري، ونشره في: 31/01/2005 . موقع: إسلام أونلاين .
- 15- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: 1399هـ / 1979م.
- 16- مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزُّرقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط: 3.